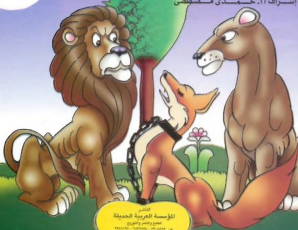


دمنة مجرماً

بقلم: د. عبد الحميد عبد القادر

بريشة ا. عبد الشافي سيد

اشراف: ا. عجمدی قزوینی



لَمَّا انْتَهَى الْأَسَدُ مِنْ قَتْلِ صَدِيقِهِ الثَّوْرَ (شَبْرَبَةَ)
 اسْرَعَ (دِمْنَةً) إِلَى أَخِيهِ (كَلْبِلَةَ) وَأَخْبَرَهُ أَنَّ حِيلَتَهُ
 قَدْ نَجَحَتْ فِي الْإِقْفَاعِ بَيْنَ الْأَسَدِ وَ(شَبْرَبَةَ) وَأَنَّهُ قَدْ انْتَهَى
 مِنْ عَذْوِهِ الثَّوْرَ ، وَتَخَلَّصَ مِنْهُ إِلَى الْأَبَدِ ..
 فَحَزَنَ (كَلْبِلَةَ) حَزْنًا شَدِيدًا ، وَقَالَ لَهُ :
 - لَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنِ الْمَشْيِ بِالنَّمِيمَةِ ، وَالْإِقْفَاعِ بَيْنَ الْأَبْرِيَاءِ
 بِالْكَذِبِ وَالرُّوَرِ وَالْبُهْتَانِ ، حَتَّى تَتَخَلَّصَ مِنْ عَذْوِكَ بِهِمْ
 الْحِيلَةُ الدُّنْيَا ، وَالْفَعْلَةُ الْخُسَيْسَةُ ..
 لَكِنَّكَ لَمْ تَنْصَبْ إِلَى كَلَامِي ، وَلَمْ تَسْتَمَعْ إِلَى نَصِيحَتِي ،
 حَتَّى تَسْبَبْتَ فِي قَتْلِ بَرِيءٍ ..
 فَضَحِكَ (دِمْنَةً) سَاخِرًا وَقَالَ :
 - الْغَايَةُ تَبْزُرُ الْوَسِيلَةَ ، وَلَقَدْ كَانَتْ غَايَتِي شَرِيفَةً وَهِيَ
 أَنْ اسْتَرُدَّ مَكَانَتِي الرَّفِيعَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ ، فَلَيْسَ مَهْمًا
 إِنْ مَاتَ الثَّوْرُ أَوْ لَمْ يَمُتْ ..



فَقَالَ (كَلِيلَةُ) :

- اَنْتِ اَنْأَنِيْ وَحَقِيْرُ خَسِيْسُ ، لَا تَهْنَمُ اِلَّا بِتَحْقِيْقِ مَصْلَحَتِكَ
الشَّخْصِيَّةِ ، حَتَّى لَوْ طَارَتْ رَعُوْسُ ..

وَكَانَ النَّمِرُ يَمُرُّ قَرِيْبًا مِنْهُمَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، فَسَمِعَ
الْمُحَاوِرَةَ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ (كَلِيلَةَ) وَ(دِمْنَةَ) وَحَفِظَهَا فِي رَأْسِهِ ،
وَكَمَنْ حَتَّى يَسْمَعَ بَقِيَّةَ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ (كَلِيلَةُ) :

- لَقَدْ جَنَيْتِ عَلَى نَفْسِكَ جَزَاءً كَبِيْرَةً ، وَحَكَمْتَ عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ ..
اِذَا انْكَشَفَ امْرُؤٌ لِلْأَسَدِ ، وَغَرَفَ غَدْرَكَ ، فَلَنْ يَكْتَفِيَ بِفَتْكَ ، مَخَافَةَ
شُرَكَ وَغَدْرِكَ ، وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ فَلَمْ تَسْمَعْ لِنَصْحِي ، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ
مُفَارَقَتِكَ وَالْإِتْعَادِ عَنكَ ..

فَلَمَّا سَمِعَ النَّمِرُ كَلَامَهُمَا ، وَعَلِمَ بِخِيَانَةِ (دِمْنَةَ) لِعَهْدِهِ وَتَسْبِيهِ
فِي قَتْلِ الشُّوَرِ (شَيْثَرِيَّة) ابْتَعَدَ عَنْهُمَا وَهُوَ يَتَعَجَّبُ
مِمَّا سَمِعَ ..



أَمَا الْأَسَدُ فَإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ الثَّوْرَ نَبِمَ ثَدْمًا شَدِيدًا وَقَالَ :
 - لَقَدْ فُجِئْتُ بِقَتْلِ أَعْرَأِ أَصْحَابِي ، وَخَيْرِ مُسْتَشَارِي وَالْفَضْلِ
 نَاصِحِ آمِينَ لِي ! كَيْفَ حَدَّثَ ذَلِكَ فِي لَحْظَةٍ غَضِبَ مِنِّي ؟
 - رَبِّمَا كَانَ بَرِيئًا أَوْ مَكْدُوبًا عَلَيْهِ ؟
 ثُمَّ تَذَكَّرَ كَيْفَ نَحَلَ الثَّوْرَ عَلَيْهِ غَاضِيًا وَثَائِرًا فَقَالَ :
 - لَكَيْتُ كَانَ حَرِيصًا عَلَيَّ قَتَلْتِي .. لَوْ لَمْ أَقْتُلْهُ أَنَا لَسَارَعَ
 هُوَ لِقَتْلِي ..



وَبَعْدَ قَلِيلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ (بِمَنْةٍ) فَقَالَ لَهُ :
- مَاذَا يُحَرِّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَقَدْ نَصَرَكِ اللَّهُ ، وَأَهْلَكَ
عَدُوُّكَ ، الَّذِي سَعَى لِقَتْلِكَ ؟ يَحِقُّ لَكَ أَنْ تُفْرَحَ بِدَلَا
مِنْ أَنْ تُحْزَنَ ، وَتَجْلِسَ مَهْمُومًا هَكَذَا ..
فَقَالَ الْأَسَدُ :

- أَنَا حَزِينٌ مِنْ أَجْلِ عَقْلِ (شَيْثْرِيَّة) وَعَلَمِيهِ وَأَنِّيهِ .
وَلَا تُنْسَ أَنَّهُ كَانَ أَخْلَصَ صَدِيقَائِي لِي بِالنَّصِيحَةِ ، وَأَنَّهُ
كَانَ مُسْتَشَارِي وَكَاتِبِ أَسْرَارِي ..
فَقَالَ (بِمَنْةٌ) :

- الْعَاقِلُ لَا يَرْحُمُ أَعْدَاءَهُ ، وَقَدْ كَانَ (شَيْثْرِيَّة) عَدُوُّكَ
لِأَنَّهُ كَانَ يَتَوَى قِتْلَكَ ، وَالِاسْتِيْلَاءَ عَلَى مَلِكِكَ ..
فَقَالَ الْأَسَدُ حَزِينًا :

- لَقَدْ فَضَى هَذَا الْأَمْرُ بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَأَرْجُو
أَنْ أَسْنَأَ بِسَهُولَةٍ ..



أما النمر فإنه بعد أن سمع ما دار بين (كليّة) و(بمنّة)
من كلام ، وعلم بخيانة (بمنّة) وغدره ، فإنه توجه مباشرة
إلى أم الأسد ، وأخذ عليها العهود والمواثيق الا تقضى ما سوف
ينبوح به إليها من أسرار لآخر ..

فلما عاهدته على ذلك ، أخبرها بكل الجوار الذي دار
بين الأخوين (كليّة) و(بمنّة) وكيف أن (بمنّة) قد خدع
الأسد وكذب عليه ، حتى قتل (شيرة) بدون ذنب
أو جناية ارتكبتها .. ثم انصرف ..



فنهضت الأم ، متجهة إلى الأسد ، فلما دخلت عليه ،
ونظرت إليه وجدته يجلس حزينا مهطوما على صديقهِ
(شربة) فقالت له :

- ما هذا الحزن الذي يغلو وجهك ، والضيق الذي يملأ صدرك ،
والهم الذي يكاد يقتلك يا بني ؟

فتنهَّد الأسد في ضيق ، وقال في ألم :
- يحزنني قتل (شربة) ولا تسنى يا أمي أنه كان خير صاحب ،
وأفضل ناصح ، وأحسن من استشيرهُ في أموري كلها ، وأبكهُ
أسراري حلوها ومرها ..



فَقَالَتِ الْأُمُّ مُخَاتِبَةً :

- وَكَيْفَ تُقَدِّمُ عَلَى قَتْلِ (شَيْرْبَةِ) دُونَ عِلْمٍ أَوْ يَقِينٍ بِعَدَاوَتِهِ ،
وَحَتَّى قَبْلَ أَنْ تُكَلِّبَ خِيَانَتَهُ ؟ إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ بِخِيَانِهِ .. وَلَوْلَا
أَنْ يَلْحَقَنِي الْإِثْمُ وَيَرْكَبَنِي الذَّنْبُ بِسَبَبِ إِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ ، لَأَخْبَرْتُكَ
بِمَا عَلِمْتُ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- إِذَا كَانَ عِنْدَكَ رَأْيٌ يَا أُمِّي فِيمَا حَدَّثَ فَلَا تُخْفِيهِ عَلَيَّ وَإِنْ كَانَ
أَحَدٌ قَدْ أَذَاعَ إِلَيْكَ سِرًّا فَأَخْبِرْنِي بِهِ ..
فَأَخْبَرَتْهُ الْأُمُّ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَهَا بِهِ النَّمْرُ ، دُونَ أَنْ تُذَكِّرَ لَهُ أَنَّ
النَّمْرَ هُوَ الَّذِي بَاغَ إِلَيْهَا بِذَلِكَ ..
فَعَلِمَ الْأَسَدُ أَنَّ (دَيْمَنَةَ) قَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ وَخَدَعَهُ ، وَأَنَّهُ مَشَى بِالْفُتْرِ
وَالْخِيَانَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ (شَيْرْبَةِ) حَتَّى أَوْقَعَ بَيْنَهُمَا ..



وَلَمَّا انْتَهتِ الْأُمُّ مِنْ خَدِيعَتِهَا ، اسْتَدْعَى قَادَةَ جُنْدِهِ ، وَأَمَرَهُمْ
 أَنْ يَقْبِضُوا عَلَى (دُمْنَةَ) وَيَحْضِرُوهُ فِي الْحَالِ ، مَكْبَلًا بِالْأَغْلَالِ ..
 فَلَمَّا مَثَلَ (دُمْنَةُ) بَيْنَ يَدَيِ الْأَسَدِ ، وَرَأَاهُ حَزِينًا غَاضِبًا قَالَ لَهُ :

- مَا الَّذِي حَدَثَ أَتَيْهَا الْمَلِكُ ؛ حَتَّى تَأْمُرَ جُنْدَكَ فَيَأْتُوا بِى مَكْبَلًا

عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الْمُشِينَةِ ؟

فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ :

- مَا حَدَثَ أَنَّ الْمَلِكَ لَنْ يَدْعَكَ تَعِيشُ بَعْدَ الْيَوْمِ طَرْفَةَ عَيْنٍ

أَتَيْهَا الْخَائِنُ الْغَادِرُ الْمُخَارِعُ ..

فَتَعَجَّبَ (دُمْنَةُ) قَائِلًا :

- أَيْ ذَنْبٍ جَنَيْتُ حَتَّى يَقْتُلَنِى الْمَلِكُ ؟



فَقَالَتِ الْأُمُّ :

- أَأَنْتِ أَنْتِ بِيْزْمِكَ وَأَعْنَمُ بِذَنْبِكَ ..

فَقَالَ (بِمَنْتَه) مُرَاوَعًا :

- مِنَ الصُّوَابِ الْآ لَا يَعْجَلُ الْمَلِكُ فِي قَتْلِي ، لِمُجَرَّدِ خَلَامِ خَائِبٍ
قَدْ يَكُونُ سَمِيْعَةً عَلَيَّ .. لَسْتُ أَقُولُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ ، لَأَنْ كُلَّ
حَيٍّ لَا يَدْرِي أَنْ يَذُوقَ الْمَوْتَ مِنْهَا طَالَ فِي الْحَيَاةِ عُمْرُهُ ..

فَقَالَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ :

- إِنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ ، وَالْتِمَاسًا لِعَذْرِ تَفَرُّ بِهٍ مِنْهُ ..

فَقَالَ (بِمَنْتَه) :

- وَمَا الْغَيْبُ فِي أَنْ يَلْتَمِسَ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ عَذْرًا يَنْجُو بِهٍ مِنَ

الْمَوْتِ ؟ هَلْ هُنَاكَ أَهْلٌ مِنَ النَّفْسِ ؟



فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ :

لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ جَرَأَتِكَ أَيُّهَا الْكَاذِبُ الْمُحْتَالُ ، وَشِدَّةِ وَقَاحَتِكَ ..
فَقَالَ (بِغَيْظٍ) :

- لَأَنْتَ تَنْطَرِقِينَ إِلَيَّ بِخَيْرٍ وَاحِدَةٍ ، وَتَسْمَعِينَ مِنِّي بِأَذْنٍ
وَاحِدَةٍ ؛ فَلَنْ تُصَلِّيَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ أَبَدًا ..
فَقَالَتْ أُمُّ مَتَّعِجَةً :

- وَمَا هِيَ الْحَقِيقَةُ أَيُّهَا الْكَذُوبُ الْمُحْتَالُ ؟!

فَقَالَ (بِغَيْظٍ) فِي تَبَجُّحٍ :

- لَقَدْ سَعَى بَخْضُهُمْ بِالنَّمِيمَةِ عَلَى عِندِ الْمَلِكِ ، وَلَا بُدَّ
أَنْ يَكُونَ قَدْ لَفَّقَ لِي تَهْمَةً بَاطِلَةً ، وَجَرِيمَةً لَمْ أَرْتَكِبْهَا ..
فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ غَاضِبَةً :

- أَلَا تَرَوْنَ هَذَا الشَّقِيَّ ، الَّذِي يُحَاوِلُ أَنْ يُصَوِّرَ
نَفْسَهُ بِصُورَةِ الْبَرِّ ، مَعَ عَقْلٍ نَبِيهِ ؟!



فَقَالَ (دُمْنَةُ) فِي تَبَجُّحٍ :

- الشَّقِيُّ هُوَ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفِي عَنْ نَفْسِهِ تَهْمَةً بِاجْلِلَةِ
لِحِقَّتْ بِهِ مِنْ نِظَامِ حَقُودٍ ..

وَقَالَ (دُمْنَةُ) يُجَادِلُ بِالْبَاطِلِ ، وَيَنْفِي عَنْ نَفْسِهِ التَّهْمَ الْمُوجَّهَةَ إِلَيْهِ ..
وَلَمْ يَطْلُقِ الْأَسَدُ أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَى مُزِيدٍ مِنَ الْحِيلِ وَالْأَكْثَابِيبِ ،
الَّتِي رَاحَ (دُمْنَةُ) يُلَفِّقُهَا ، حَتَّى يَبْرُئَ نَفْسَهُ ..

فَاصْتَدَرَ امْرَأَةً بِأَنْ يُسَلِّمَ (دُمْنَةُ) إِلَى الْقَاضِي ، حَتَّى يُحَقِّقَ مَعَهُ ،
وَيُحَدِّثَ مَعَهُ بَرَاعَتَهُ مِنْ جُرْمِهِ ، ثُمَّ يُصَدِّرَ عَلَيْهِ حُكْمَهُ
الَّذِي يَرَاهُ ، حَتَّى يَأْخُذَ الْعَدْلُ بِجُرْأِهِ ..

فَأَمَرَ الْقَاضِي بِأَنْ يُودَعَ (دُمْنَةُ) فِي السِّجْنِ ، حَتَّى تُبْدَأَ
إِجْرَاءَاتُ مُحَاكَمَتِهِ .. وَهَكَذَا أُودِعَ الْحُرَّاسُ (دُمْنَةُ)
فِي السِّجْنِ ..



وفي أثناء الليل أرسل (بمنة) إلى أخيه (خليلة) فحضر إليه
متحقيقاً ..

ولما رآه (خليلة) في قلوبم داخل السجن بكى من منظره وقال له :
- هل رأيت يا أخي عاقبة عدم استماعك إلى نصحي ومشييك
بين الناس بالنعمة ، وقتلك الأبرياء بالعدو والخديعة ..
لقد نصحتك ، لكنت لم تستمع إلي نصحي ، ولو أنني كنت
قد قصرت معك في النصيحة ، ووافقتك على فعلك القبيحة ،
لكنت شريكك في الجرم ، وكنت معك الآن في السجن ..
فقال (بمنة) :

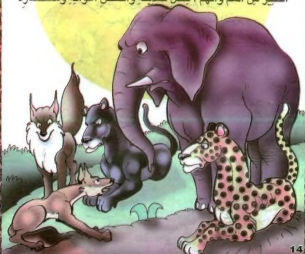
- لقد تأكدت الآن من إخلاصك في نصحي ، لكنت قد ارتكبت
جرمي ، ولن يجدي الندم الآن ..
واستمع الحوار بينهما لفترة ..



وَكَانَ قَرِيبًا مَبْهُمَا فِي السَّجْنِ فَهَدُّ مِنَ الْحُرَّاسِ ، فَسَمِعَ
عَلَامَتَهُمَا ، وَعَلِمَ أَنَّ (بِشَّةً) مُجْرِمَ ، وَأَنَّ (خَلِيلَةَ) بَرِيَّةً ، فَحَفِظَ
مَا دَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ خَوَارٍ ، حَتَّى يَأْتِي بِهِ إِلَى الْقَاضِي ، إِذَا احتَاجَ
إِلَى شُهُودٍ ..

وَفِي الصَّبَاحِ جَلَسَ الْقَاضِي فِي مَجْلِسِهِ ، وَأَمَرَ الْحُرَّاسَ
أَنْ يُحْضِرُوا (بِشَّةً) مِنَ السَّجْنِ ، حَتَّى تَبْدَأَ إِجْرَاءَاتِ مُحَاكَمَتِهِ
الْعَلَنِيَّةِ ، وَالتِّي حَضَرَهَا الْجُنْدُ وَالْكَثِيرُ مِنَ الرُّعْيَةِ ..
وَبَدَأَ الْقَاضِي افْتِتَاحَ الْمُحَاكَمَةِ بِقَوْلِهِ :

- أَيُّهَا الْجَمْعُ ، لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْمَلِكَ ، سَيِّدُ السَّبَاحِ ، قَدْ أَصَابَهُ
الْكَثِيرُ مِنَ الْعَمِّ وَالْهَمِّ ، لِقَتْلِ صَدِيقِهِ وَأَخْلَاصِ أَغْوَانِهِ وَمُسْتَشَارِهِ



النَّاصِحِ الْأَمِينِ (شَيْثْرِيَّةً) لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّهُ قَتَلَ (شَيْثْرِيَّةً) بِغَيْرِ ذَنْبٍ
جَنَاحَهُ ، وَأَنَّهُ لَوْلَا كَذِبُ (بِمْنَةُ) وَسَعْيُهُ بِالْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ بَيْنَهُمَا
مَا قَتَلَهُ ..

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْجَمْعِ الْخَاشِعِ الَّذِينَ حَضَرُوا لِشُهُودِ الْمُخَافَةِ
وَقَالَ :

- فَعَلَى أَيِّ شَخْصٍ مِنْكُمْ يَعْلَمُ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ ذَلِكَ الْخَائِنِ
(بِمْنَةُ) سِوَاءِ أَكَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى هُنَا وَيُخْبِرَنِي بِهِ ،
حَتَّى يَسْمَعَهُ الْجَمِيعُ ، وَحَتَّى نُلَبِّثَ أَنْ (بِمْنَةُ) يَرَىءُ فَإِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ
بِرَأْيِهِ ، وَإِنْ كَانَ جَانِبًا حَكَمْنَا عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ عِقَابًا عَلَى قَتْلِ (شَيْثْرِيَّة) ..
وَأَضَافَ الْقَاضِي مُحَذِّرًا :

- وَإِيَّاكُمْ وَشَهَادَةَ الزُّورِ أَوْ الْكَذِبِ ، لِأَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا



شهادة الزور .. ومن أعظمها أيضا قتل البريء بدون ذنب
والسعي بين الناس بالغبية والنميمة والكذب والإيقاع بينهم ،
حتى يقتل بعضهم بعضا ، كما حدث ..

ومن علم شيئا من جرم و(دمنة) وأحقاه يكون مشاركا له
في الإثم والجريمة ، وسيناله مثل ما ينال (دمنة) من العقاب ..
فقال (دمنة) محذرا في تنجح :

- من شهد بما لم يَرِ أو يسمع كان أشد جرمًا ممن ارتكب
الجرم نفسه ، وأنا أحذركم من الشهادة على زورا ، حتى تلفقوا
لي التهمة ، وترضوا الأسد ..

وهنا قام الخنزير وقال :

- أنا لدى ما أحب أن أدلي به بخصوص ذلك المجرم الواقف
في القفص ..

(تمت)

رقم الإيداع : ٢٧١٠

التوزيع الدولي : ٢١ - ٣١٤ - ٢٢٧ - ١٧٧

الكتاب القادم :

محاكمة دمنة ..

